قضية اللغة العربية الجزء الثاني

الكاتب: محمود شاكر

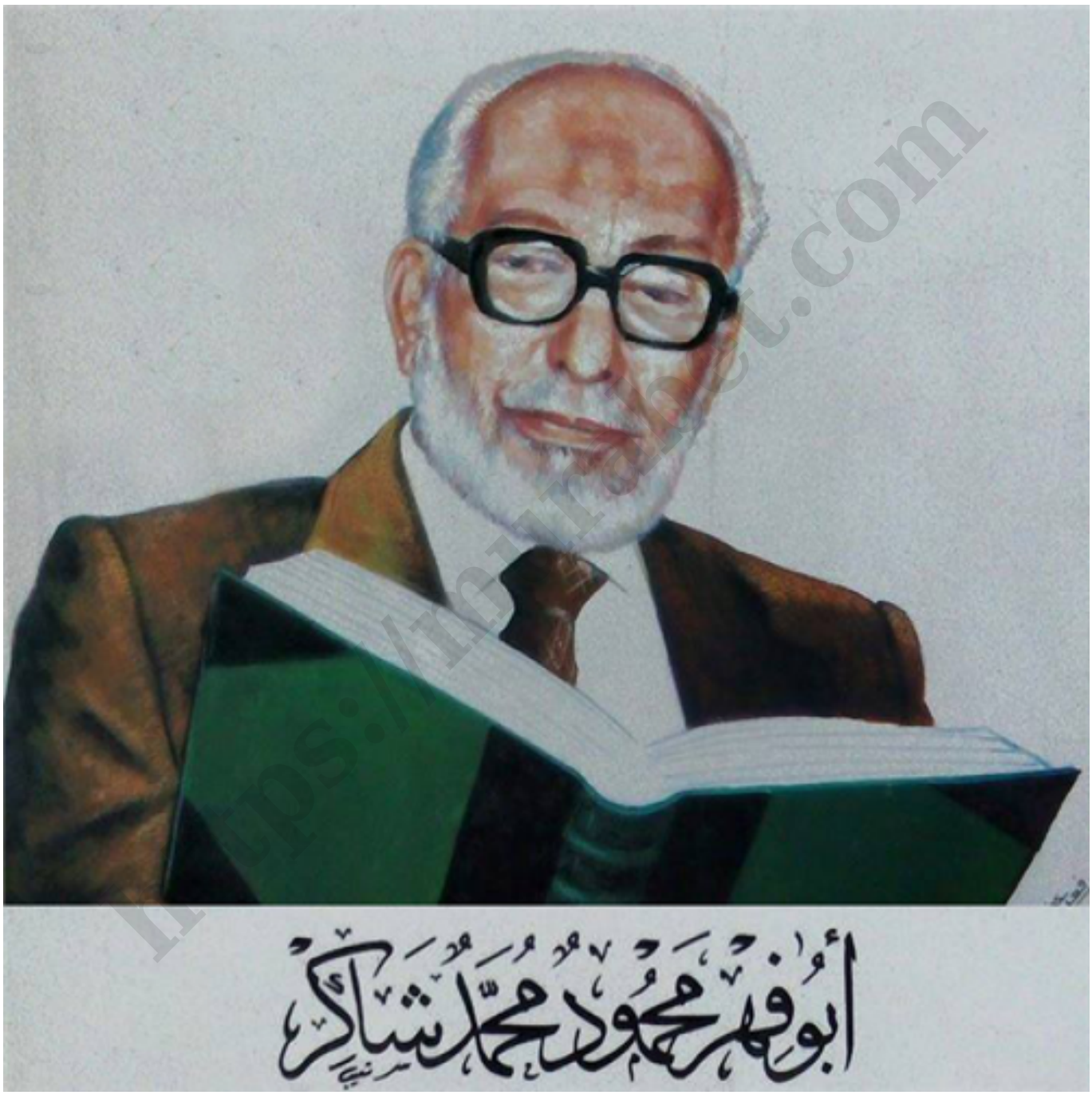

https://t.me/t.me/tnlbooks

فكر مقالات لسانيات

في زمان الغفلة

منذ أربعة قرون ماضية، كان العالم العربي والإسلامي أرضًا واحدة، تحيي حضارة واحدة، تمدها ثقافة واحدة، من أقصى المغرب إلى حدود الصين، ومن أطراف تركية إلى دار الخلافة في أغوار أفريقية وآسية. أمة واحدة وارثة لأسلافها، ولكن الورثة كانوا في غفلة، استناموا إلى ميراثهم الجليل الضخم، فهمدوا هموده الجمرة تحت الرماد.

وفي زمان غفلتهم واستنامتهم، دبت الحياة دبيبها في ناحية أخرى على أطراف دولتهم.. حركة حياة لم يلقوا إليها بالا في أول الأمر، مع أن الله تعالى كان قد أنذرهم قبل ذلك بقليل، فسلّط الهمج البرابرة على طرف من الأطراف؛ دولتهم في الأندلس، بعد أن عمروها ثمانية قرون، فأبادوا ملكهم واستباحوا حضارتهم ونهبوا ما في أيديهم من ثروة وعلم وبشر، ودمروا أكثر ما شيدوه من بنيان.. عظة وعبرة لم تجسد مستمعًا ولا مستجيبًا.

والآن، هم في غفلة واستنامة، كان قدر الله سبحانه يعد لهم بعد المغل "المغول" والتتر الذين انصبوا عليهم من الشمال الشرقي.. مغل العصور الحديثة وتترها من الشمال الغربي ليرسلوا عليهم.. لن يكونوا مغلا جهلة كأهل الشمال الشرقي، بل مغلا مدربين قد استفاقوا من جهالة ظلوا غارقين في مستنقعها اثني عشر قرنًا "هي القرون الوسطى، كما يسمونها"، بعد أن أيقظتهم حضارة العالم الإسلامي وأمدتهم بما يحييهم، وبعد أن وضع لهم نيكولو مكيافيلي دستورهم الأخلاقي السياسي، الذي لا تزال تسرى شروره في شرايين الحضارة الأوروبية الحديثة إلى هذا اليوم.

https://murabet.com

بدأ زحف المغل "المغول" المحدثين على دولة الخلافة الإسلامية بحذر شديد، وبدأ تطويق العالم العربي الإسلامي من سواحل البحار البعيدة في إفريقية وآسية والهند وجزيرة العرب.. ثم بدأ التغلغل في حواشي الأرض اليابسة من أطراف العالم الإسلامي. ومرت السنون، وشيًا فشيئًا نفذت سطوة المغل المحدثين في كيان دولة الخلافة، وبدأت دولة الخلافة تفقد سلطانها على نفسها، وأحس العالم الإسلامي بالنكبة إحساس التوجس المبهم، وخامر الآذان دوى خفى ينبعث من تقوض أركان دولة الخلافة.. وخالط الفزع الغفوة وبدأ التحدي الأكبر واضحا من ناحية، مبهمًا من الناحية الأخرى.

لن أقص تفاصيل تاريخ غريب مخيف، ولكني أشير إلى جزء يسير من حركة أمة فزعت من خطر، فأخذت تمسح النوم عن عيونها بأيد فيها فتور النعاس الغالب. حاولت أن تهب من رقدتها لتنفض عن نفسها غبار القرون، فماذا فعلت ولم أخفقت؟

كان لدوى الأركان المتقوضة في مركز دولة الخلافة ذبذبة تغلغلت في قلب العالم العربي الإسلامي حتى بلغت أطرافه البعيدة، وبالتوجس المحض من الخطر المرهوب المحجوب، بدأت أمة كاملة مترامية الأطراف تحاول أن تواجه تحديًا عن عدو مبهم، بدأ يقوض أركان دولتها، وبرد الفعل الفطري، تحركت طائفة قليلة مبعثرة في أرجاء عالم متراحب.. تحركت تدافع عن بقائها بلا تدبير سابق، ولا هدف واضح، وما هو إلا التوجس الغامض من شر خطر داهم مستطير، ولكنه محجوب لا يعرف ما هو على التحقيق.

كان أول ما انبعث هؤلاء الأفراد القلائل بفطرتهم للدفاع عنه هو اللغة والدين، وهما أساس ثقافة الأمة، ثم سائر العلوم التي هي أصول الحضارة التي ورثتها، وعاشت بها وفيها قرونا طويلة. كان الطريق الذي هدتهم إليه الفطرة، هو بعث الأصول التي قامت عليها الثقافة والحضارة، بالرجوع إلى منابعها الصافية

https://murabet.com

الأولى، بعد أن غمرها النسيان والغفلة بأتربة سقت عليها قرونا حتى طمرتها، وسلبتها بريقها ونضرتها.

لا أستطيع هنا أن أسرد كل ما حدث عند هذا التوجس في كل ناحية من نواحي هذا العالم الضخم المتراحب، ولذلك رأيت أن أختار خمسة رجال عظام، لا أكثر، أحسوا بذبذبة النكبة، فانتفضوا لها وكان لهم في بقعة من قلب العالم العربي طريق واضح في البعث والإحياء، دلت عليه كتبهم وأعمالهم دلالة واضحة. لن أستوعب تاريخهم أو آثار كتبهم وأعمالهم، وإنما هي الإشارة والتنبيه لا غير، إلى هذا الإحساس الغامض بالنكبة، وطريقهم الذي سلكوه لدفعها عن بلادهم وأمتهم، بلا تبين واضح للعدو أو للهدف.

المصدر:

١. محمود محمد شاكر، جمهورة المقالات، ص1196

الكلمات المفتاحية:

#محمود-شاكر #اللغة-العربية

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعنى بالضرورة تزكية الكاتب أو تبنى جميع أفكاره.

https://murabet.com